مجموعة القصص الدينية

(٧)

باشراف

محمد أحمد برانق

أصحاب القرية

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

أَمَّا الْقَرْيَةُ فَهِيَ مَدِينَةُ إِنْطَاكِيَّةَ بِشَمَالِيِّ الشَّامِ .

أَوْ هِيَ مَدِينَةٌ أُخْرَى غَيْرُ إِنْطَاكِيَّةَ .

وَأَمَّا أَصْحَابُهَا فَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ؛ وَيَسْجُدُونَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ ، وَكَانَ يَحْكُمُهَا مَلِكٌ اسْمُهُ أَنْطِيخُسُ : رَأَى الشَّعْبَ يُحِبُّ الْأَصْنَامَ ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا بِالذَّبَائِحِ وَالنُّذُورِ ، فَأَظْهَرَ هُوَ أَيْضًا حُبَّهُ لَهَا ، فَأَحَبَّهُ الشَّعْبُ ، وَسَمَّاهُ رَاعِيَ الْآلِهَةِ . . .

اتَّخَذَ هٰذَا الْمَلِكُ لِنَفْسِهِ حَاشِيَةً مِنَ الرِّجَالِ الْأَذْكِيَاءِ لِكَيْ يُعِينُوهُ عَلَى أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . . . وَرَأَى الْجَمِيعُ أَنَّ خَيْرَ وَسِيلَةٍ لِذٰلِكَ انْتِهَاجُ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ ، وَهِيَ وَسِيلَةٌ سَهْلَةٌ تَرْفَعُهُمْ إِلَى مَقَامِ الْقِدِّيسِينَ ، وَتَضَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَمْوَالَ الشَّعْبِ وَتِجَارَتَهُ مَغْنَماً يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَمَا يَشَاءُونَ . . .

قَالَ لِلْمَلِكِ رَجُلٌ مِنَ الْحَاشِيَةِ : هٰذَا هُوَ الشَّعْبُ يَحْتَفِلُ الْيَوْمَ بِعِيدِ انْتِصَارِ الْآلِهَةِ عَلَى الشُّبَّانِ الْمَارِقِينَ .

وَقَالَ ثَانٍ : إِنَّ هٰؤُلَاءِ الشُّبَّانَ كَانُوا خَطَرًا عَلَى أُمَّتِنَا وَعَلَى دِينِنَا وَدُنْيَانَا ؛ لَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى تَحْرِيرِ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهَا حِجَارَةٌ صَمَّاءُ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ .

وَقَالَ ثَالِثٌ : اَلْخَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا رَأَى الْمَلِكُ حِينَ أَمَرَ بِأَنْ يُدْفَعَ هٰؤُلَاءِ الشُّبَّانُ إِلَى الشَّعْبِ فَكَانَ هَلَاكُهُمْ عَلَى يَدِهِ ؛ لَقَدْ مَزَّقَتْهُمُ الْجُمُوعُ إِرْبًا إِرْبًا ، عَلَى أَنَّ الْخَمْسَةَ لَمْ يُقْتَلُوا فَقَدْ فَرَّ أَحَدُهُمْ وَهَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَلَا نَدْرِي أَيْنَ هُوَ الْآنَ ! !

قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ مَجْدَنَا مِنْ مَجْدِ الْآلِهَةِ ؛ فَكُلُّ مَنْ يَمَسُّهَا بِسُوءٍ يَمَسُّنَا ، وَيَجِبُ أَنْ يُدْفَعَ إِلَى الشَّعْبِ لِيُلْحِقَهُ بِهٰؤُلَاءِ الْخَارِجِينَ فَنَرْتَاحَ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْنَا أَقَلُّ لَوْمٍ .

رِجَالُ الْحَاشِيَةِ جَمِيعًا : إِنَّ رَأْيَ مَوْلَانَا هُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ . . .

الْمَلِكُ يُنَادِي الْخَادِمَ : يَا غُلَامُ : أَحْضِرِ الشَّرَابَ لِنَحْتَفِلَ مَعَ الشَّعْبِ بِعِيدِ النَّصْرِ . . .

٢

أَوَى الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ : سَمْعَانُ ، وَفَارُوضُ ، وَمَالُوسُ — إِلَى سَفْحِ جَبَلٍ عَالٍ قُرْبَ بَابِ غَارٍ عَتِيقٍ . وَكَانَتْ أَسْوَارُ الْمَدِينَةِ تَتَرَاءَى لَهُمْ مِنْ نِهَايَةِ الْأُفُقِ، فَلَا يَكَادُ يَبْدُو مِنْهَا سِوَى أَطْرَافِهَا وَمَعَالِمِ أَبْرَاجِهَا الْمَشِيدَةِ .

سَمْعَانُ : فَلْنَبِتْ لَيْلَتَنَا فِي هٰذَا الْمَكَانِ حَتَّى إِذَا كَانَ الصُّبْحُ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ

مَالُوسُ : نَعَمْ مِنَ الْخَيْرِ أَلَّا تَدْخُلَاهَا عَلَيْهِمْ مَعَ اللَّيْلِ .

فَارُوضُ : أَمَا زِلْتَ مُصَمِّمًا عَلَى أَلَّا تَدْخُلَ مَعَنَا ؟

مَالُوسُ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْكُمَا وَحْدَكُمَا . . . وَأَمَرَكُمَا بِالرِّسَالَةِ مِنْ دُونِي ، وَلَوْ شَاءَ لَأَمَرَنِي ، فَاذْهَبَا مَعَ الصُّبْحِ وَسَأَبْقَى هُنَا أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِكُمَا . . .

سَمْعَانُ : هٰذَا حَسَنٌ . . . فَلْنَكُنْ عِنْدَ مَا رَسَمَ لَنَا اللهُ

فَارُوضُ : إِذًا ، فَلْنُدَبِّرْ أَمْرَنَا مِنَ الْآنَ . . . لَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ

الْمَلِكَ وَحَاشِيَتَهُ عُصْبَةٌ فَاجِرَةٌ ، وَأَنَّ الشَّعْبَ شَعْبٌ جَاهِلٌ أَحْمَقُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى كَلِمَةِ رُشْدٍ وَاحِدَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى اللهِ ... فَمَاذَا نَعْمَلُ ؟ أَنَذْهَبُ إِلَى الْمَلِكِ وَحَاشِيَتِهِ مُبَاشَرَةً فَنَدْعُوهُ إِلَى اللهِ ، وَنَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا عَلَّمَنَا مِنْ حُجَجٍ ، وَآتَانَا مِنْ آيَاتٍ ، أَمْ نَجْعَلُ الشَّعْبَ وِجْهَتَنَا بَادِئَ الْأَمْرِ ؟

سَمْعَانُ : أَرَى أَنْ نَبْدَأَ أَوَّلًا بِالْمَلِكِ ... فَإِذَا آمَنَ الْمَلِكُ وَحَاشِيَتُهُ تَبِعَهُمُ الشَّعْبُ ؛ وَالنَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ ..

فَارُوضُ : إِنَّ الْمُلُوكَ هُمْ أَصْحَابُ الْمَصْلَحَةِ الْأُولَى فِي جَهْلِ الشَّعْبِ وَفَسَادِ عَقِيدَتِهِ ... وَأَنْتَ حِينَ تَدْعُو الْمَلِكَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَإِلَى أَنْ يَتْرُكَ الْأَصْنَامَ — إِنَّمَا تَدْعُوهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى التَّنَازُلِ عَنْ عَرْشِهِ فَإِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلْعُرُوشِ فِي الشُّعُوبِ الْمُسْتَنِيرَةِ الْمُؤْمِنَةِ بِاللهِ وَبِحَقِّهَا فِي الْحَيَاةِ .

سَمْعَانُ : إِنَّنَا لَنْ نُزَاحِمَهُ عَلَى الْحُكْمِ ، وَلَنْ نَتَآمَرَ عَلَى تَعْيِينِ سِوَاهُ فِي مَكَانِهِ .. فَإِذَا آمَنَ بِاللهِ مَعَنَا تَرَكْنَاهُ عَلَى عَرْشِهِ ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ إِلَى الْإِيمَانِ .

وَفِيمَا هُمْ كَذٰلِكَ خَرَجَ مِنَ الْغَارِ الْعَتِيقِ رَجُلٌ مَرِيضٌ ، طَوِيلُ الْقَامَةِ ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، شَاحِبُ الْوَجْهِ ؛ تَدُلُّ عِظَامُهُ الْعَرِيضَةُ الْبَارِزَةُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَوِيَّ الْبِنَاءِ شَدِيدًا ..

قَالَ الرَّجُلُ : مَنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ ؟ ! !

قَالَ مَالُوسُ : وَمَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ ! !

قَالَ : أَنَا مَرِيضٌ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَلِي فِي هٰذَا الْكَهْفِ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ ...

مَالُوسُ : أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ ؟ ! ! وَمَاذَا تَصْنَعُ هُنَا ؟ !

الرَّجُلُ : أَنَا مَرِيضٌ وَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ تَسْمَعُوا قِصَّتِي فِي هٰذَا الْغَارِ ... فَخَبِّرُونِي مَنْ أَنْتُمْ ؟

مَالُوسُ : وَمَا دُمْتَ مَرِيضاً فَلَا حَاجَةَ بِكَ أَنْ تَعْلَمَ قِصَّتَنَا .. وَإِنَّمَا أَنْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الشِّفَاءِ .. أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟

الرَّجُلُ : نَعَمْ . وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شِفَاءٍ لِي ؟

سَمْعَانُ : نَعَمْ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ ، وَمَرَّ بِيَدِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ يُتَمْتِمُ بِدَعَوَاتٍ خَافِتَةٍ .. فَمَا أَتَمَّ دُعَاءَهُ حَتَّى أَحَسَّ الرَّجُلُ بِالْعَافِيَةِ

تَنْطَلِقُ فِي كُلِّ بَدَنِهِ ، وَبِالْقُوَّةِ تَسْرِي فِي كُلِّ أَعْضَائِهِ.

الرَّجُلُ يَقُولُ فِي حَيْرَةٍ : مَنْ أَنْتَ ؟ ! وَكَيْفَ شَفَيْتَنِي ؟ !

سَمْعَانُ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؛ أَنَا مَاشَفَيْتُكَ ، وَإِنَّمَا شَفَاكَ أَحَدٌ غَيْرِي .

الرَّجُلُ : شَفَانِي أَحَدٌ غَيْرُكَ ؟ ! . . . أَمَاتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا لِي مَنْ أَنْتُمْ ؟ ! لَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَكُمْ مِنْ دَاخِلِ الْغَارِ فَكَانَ حَدِيثاً عَجَباً ، فَخَرَجْتُ أَسْأَلُكُمْ مَنْ أَنْتُمْ ؟ . . فَلَمْ تُجِيبُونِي ؛ وَشَفَانِي وَاحِدٌ مِنْكُمْ ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَشْفِنِي ، بَلْ شَفَانِي أَحَدٌ غَيْرُهُ ! ! . . . أَمَا تُرِيدُونَ أَنْ تُفْصِحُوا لِي عَنْ أَمْرِكُمْ ؟ ! !

مَالُوسُ : أَوَ قَدْ سَمِعْتَ الْحَدِيثَ ؟ . . . قُلْ لَنَا أَوَّلاً مَا اسْمُكَ ؟ وَمِنْ أَيِّ الْمُدُنِ أَنْتَ ؟

الرَّجُلُ : اِسْمِي شَالُومُ وَأَنَا مِنْ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَرَوْنَهَا .

مَالُوسُ : وَلِمَاذَا تُقِيمُ هُنَا وَمَدِينَتُكَ لَيْسَتْ بَعِيدَةً مِنْكَ ؟ إِنَّكَ تَذْكُرُ أَنَّكَ فِي هٰذَا الْغَارِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ . . .

شَالُومُ : إِنَّكُمْ تَحْذَرُونَنِي أَشَدَّ الْحَذَرِ . . . أَمَّا أَنَا فَلَا أَحْذَرُكُمْ بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ حَدِيثَكُمْ ، وَبَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ

قُدْرَتِكُمْ عَلَى الشِّفَاءِ ... لَقَدْ كُنْتُ أَحَدَ شُبَّانٍ خَمسَةٍ قَامُوا فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ يَدْعُونَ إِلَى اللهِ ... أَلَا فَاعْلَمُوا أَنِّي أَحَدُ هٰؤُلَاءِ الشَّبَابِ . لَقَدْ كُنَّا خَمْسَةً فَقُتِلَ أَرْبَعَةٌ . أَمَّا أَنَا فَقَدْ سَاعَدَنِي أَخِي مِلْتَاسُ عَلَى الْفِرَارِ فَفَرَرْتُ ، وَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِي عَلَى أَثَرٍ ، وَلَا يَعْرِفُ أَخِي إِلَى الْآنَ أَيْنَ أُقِيمُ ...

مَالُوسُ : إِذَنْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ ؟

شَالُومُ : نَعَمْ ... فَمَنْ أَنْتُمْ ؟

مَالُوسُ : هٰذَا أَخِي سَمْعَانُ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ إِلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ ... وَهَذَا أَخِي فَارُوضُ وَهُوَ أَيْضًا رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ. أَمَّا أَنَا فَصَاحِبُهُمَا ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيَّ اللهُ بِشَيْءٍ ؛ وَالَّذِي شَفَاكَ لَيْسَ هُوَ أَخِي سَمْعَانَ بَلْ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ ... وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ لَكَ إِنَّمَا شَفَاكَ أَحَدٌ غَيْرِي ...

شَالُومُ : وَهَلْ لَكُمْ فِي صَاحِبٍ رَابِعٍ ؟. لَقَدْ سَمِعْتُكُمْ تَتَّفِقُونَ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ سَمْعَانُ وَفَارُوضُ وَيَبْقَى هُنَا مَالُوسُ .. فَلْيَكُنْ مِنْ حَظِّي أَنْ أَكُونَ مَعَ مَالُوسَ .

٣

وَفِي ضُحَى الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ مِلْتَاسُ بْنُ كَنْعَانَ يَجْلِسُ فِي دَارِهِ وَمَعَهُ ضَيْفَانِ يَتَحَدَّثَانِ إِلَيْهِ فِي خُفُوتٍ .

أَحَدُهُمَا يَقُولُ لَهُ : اِسْمِي سَمْعَانُ .

والْآخَرُ يَقُولُ : اِسْمِي فَارُوضُ .

وارْتَعَبَ مِلْتَاسُ حِينَ ذَكَرَا لَهُ أَنَّهُمَا آتِيَانِ مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ شَالُومَ . . .

وقَالَ : شَالُومُ ! ! لَيْسَ لِي أَخٌ اسْمُهُ شَالُومُ ... فَقَدْ مَاتَ ... لَقَدْ مَضَى وعَلَيْهِ لَعْنَةُ الْآلِهَةِ . . .

سَمْعَانُ : بَلْ هُوَ حَيٌّ . . . ولَيْسَ عَلَيْهِ لَعْنَةٌ مِنْ أَحَدٍ ، بَلْ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ مِنَ اللهِ . .

مِلْتَاسُ : إِذَنْ ؛ أَنْتُمَا مِنْ أَعْداءِ الْآلِهَةِ وأَعْداءِ الْمَلِكِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَسْلِيمِكُمَا لِلشُّرْطَةِ لِيَفْعَلَ بِكُمَا الْمَلِكُ مَا يُرِيدُ .

سَمْعَانُ : اِسْمَعْ يَا مِلْتَاسُ : لَقَدْ عَرَفْنَا عَنْكَ كُلَّ شَيْءٍ . . .

إِنَّكَ تَقُولُ مَا تَقُولُ خَشْيَةَ أَنْ يَمَسَّكَ مِنَ الْمَلِكِ شَيْءٌ . . .
إِنَّكَ تَحْسَبُنَا مَدْسُوسِينَ عَلَيْكَ لِنَعْرِفَ حَقِيقَةَ أَمْرِكَ . . . هٰكَذَا
أَخْبَرَنَا أَخُوكَ شَالُومُ . . . فَاطْمَئِنَّ إِلَيْنَا . . . وَلَدَيْنَا مِنْ شَالُومَ
سِرٌّ لَمْ يَعْرِفْهُ سِوَاكُمَا ؛ هُوَ أَنَّكَ الَّذِي دَبَّرْتَ لَهُ الْفِرَارَ
— وَكُنْتَ تَكْتُمُ إِيمَانَكَ حَتَّى عَنْ أَبِيكَ — فَفَرَّ مِنْ طَرِيقِ
بَيْتِ صِهْرِكَ الْمُلَاصِقِ لِسُورِ الْمَدِينَةِ . . . وَمَعَ هٰذَا نَسْتَطِيعُ
أَنْ نَصِفَ لَكَ مَكَانَهُ . . . فَدَعْنَا فِي هٰذَا الْبَيْتِ وَاذْهَبْ إِلَيْهِ
فَسَتَرَاهُ هُنَاكَ .

وَكَانَ مِنْ هَمِّ مِلْتَاسَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَالُوسَ وَشَالُومَ بِخَبَرِ
صَاحِبَيْهِمَا وَأَنْ يَأْتِيَ بِخَبَرِ مَالُوسَ وَشَالُومَ . أَمَّا الرَّسُولَانِ فَلَمْ يُفْصِحَا
عَنْ مُهِمَّتِهِمَا ، وَاكْتَفَيَا بِأَنْ أَنْشَأَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ
صِلَاتِ مَوَدَّةٍ حَسَنَةٍ ، وَادَّعَيَا الطِّبَّ ، فَكَانَا يُعَالِجَانِ بَعْضَ الْمَرْضَى
بِإِذْنِ اللهِ ، فَأَحَبَّهُمَا النَّاسُ وَشَاعَ ذِكْرُهُمَا حَتَّى عَمَّ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ
الرَّسُولَانِ لَا يَسْجُدَانِ لِلْأَصْنَامِ ، وَلَا يَعْبُدَانِهَا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ . . . وَكَانَا إِذَا سُئِلَا عَنْ ذٰلِكَ قَالَا : إِنَّ لَنَا إِلٰهًا غَيْرَ

الْآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا أَهْلُ مَدِينَتِكُمْ . . .

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَعْرِفُونَ أَنَّ لِكُلِّ مَدِينَةٍ إِلَهاً أَوْ آلِهَةً، فَظَنُّوا أَنَّ الرَّسُولَيْنِ يَعْبُدَانِ صَنَماً خَاصًّا بِمَدِينَتِهِمَا غَيْرَ أَصْنَامِ مَدِينَتِهِمْ، فَسَكَتُوا عَنْهُمَا . . .

وَلَمَّا كَثُرَ أَصْدِقَاؤُهُمَا فِي الْمَدِينَةِ، وَصَارَ لَهُمَا فِيهَا مَنْزِلَةٌ طَيِّبَةٌ سَأَلَهُمَا أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ: مَا شَكْلُ إِلَهِكُمْ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ، أَمْ مِنْ خَشَبٍ، أَمْ مِنْ حَجَرٍ؟

سَمْعَانُ: إِنَّ إِلَهَنَا لَيْسَ مُرَكَّباً مِنْ أَيِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ إِنَّهُ إِلَهٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ.

الرَّجُلُ: وَأَيْنَ مَكَانُهُ؟

سَمْعَانُ: لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ . . . وَسِرُّهُ يَمْلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ.

الرَّجُلُ: لَا أَفْهَمُ كَيْفَ أَنَّهُ غَيْرُ مُرَكَّبٍ مِنْ شَيْءٍ . . . وَلَا أَفْهَمُ كَيْفَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ؟!!

فَارُوضُ: إِنَّ فِي بَدَنِكَ رُوحًا يَحْيَا بِهِ فَهَلْ تَعْرِفُ أَيْنَ مَكَانُ هٰذَا الرُّوحِ فِي الْبَدَنِ؟

الرَّجُلُ : لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ خَاصٌّ فِي الْبَدَنِ . . . إِنَّهُ يَمْلَؤُهُ كُلَّهُ . . .

فَارُوضُ : وَهَلْ تَعْرِفُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَرَكَّبُ هٰذَا الرُّوحُ ؟

الرَّجُلُ : لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ نَعْرِفُهُ .

فَارُوضُ : إِذَنْ ؛ هُنَاكَ أَسْرَارٌ لَا تَسْتَطِيعُ عُقُولُنَا أَنْ تَفْهَمَهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَعْيُنُنَا أَنْ تُبْصِرَهَا ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَيْدِينَا أَنْ تَلْمِسَهَا . . وَإِلٰهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ ذَاتٌ خَفِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَسِرُّهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ كَمَا قَالَ لَكَ أَخِي سَمْعَانُ .

الرَّجُلُ : هَلْ تُفَضِّلُونَ إِلٰهَكُمْ عَلَى آلِهَتِنَا ؟

سَمْعَانُ : لَا شَأْنَ لَنَا بِآلِهَتِكُمْ .. إِنَّنَا نُحِبُّ إِلٰهَنَا لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ . . وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا وَيَرْزُقُ كُلَّ حَيٍّ . . . وَهُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ . . .

وَبِقُدْرَتِهِ نَشْفِي النَّاسَ . . .

وَشَاعَ هٰذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَدِينَةِ وَبَلَغَ الْمَلِكَ وَالْحَاشِيَةَ :

الطَّبيبانِ يَعْبُدانِ إلـهاً غَيْرَ آلِهَةِ الْمَدِينَةِ .

والطَّبيبانِ لا يَسُبَّانِ آلِهَةَ الْمَدِينَةِ غَيْرَ أنَّهُما يُحِبَّانِ إلٰـهَهُما .

والطَّبيبانِ يَقُولانِ إنَّ الإلٰه الَّذِى يَنْفَعُ ويَضُرُّ هُوَ الإلٰهُ الْحَقُّ ، والإلٰهُ الَّذِى لا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ لَيْسَ إلٰهاً حَقّاً .

والطَّبيبانِ لَيْسَا كالشُّبَّانِ الْخَمْسَةِ : لأَنَّ الشُّبَّانَ الْخَمْسَةَ كانُوا يَنْقُدُونَ سِياسَةَ الْمَلِكِ وحاشِيَتِه ، ويُهاجِمُونَ الأَصْنامَ ، ويَدْعُونَ النَّاسَ إلى تَرْكِها . أمَّا الطَّبيبانِ فَلا يَتَعَرَّضانِ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . وبِاتَ جُمْهُورُ الْمَدِينَةِ فِى شَكٍّ مِنْ أمْرِ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . يُرِيدُ أنْ يَبْطِشَ بِهِما ، ولٰـكِنَّهُ يَكُفّ عَنْهُما لأَنَّهُما لا يَسُبَّانِ آلِهَةَ الْمَدِينَةِ ، ويُرِيدُ أنْ يَطْرُدَهُما أوْ أنْ يَهْجُرَهُما ، ولٰـكِنَّهُما لَطِيفانِ فِى عِشْرَتِهِما ، نافِعانِ فِيما يَشْفِيانِ مِنَ الْمَرْضَى . ورَضِيَ النَّاسُ مِنَ الطَّبيبَيْنِ أنْ يَعْبُدا إلـهاً غَيْرَ آلِهَتِهِمْ . . . وأنْ يَتَحَدَّثا فِى بَعْضِ الأَحْيانِ عَنْ صِفاتِ هٰذَا الإلٰهِ وقُدْرَتِهِ وحِكْمَتِهِ . . . وظَلُّوا عَلى ذٰلِكَ مُدَّةً حَتّى أحَسَّ الْجُمْهُورُ أنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الإلٰهِ الْحَقِّ بَدَأَ يَحْمِلُ فِى طَيّاتِهِ حَمْلَةً عَلى آلِهَتِهِمْ ،

ودَعْوَةَ لَهُمْ إِلَى تَرْكِ هٰذِهِ الْآلِهَةِ ، وعِبَادَةِ هٰذَا الْإِلٰهِ الْحَقِّ فَبَدَأَ اللَّغَطُ يَدُورُ حَوْلَهُمَا ، والْحَمَاسَةُ تَظْهَرُ ضِدَّهُمَا ، وتَبَرَّأَ مِنْهُمَا الْأَصْدِقَاءُ ، ووقَعَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ الِاعْتِدَاءِ . وبَلَغَ الْخَبَرُ الْمَلِكَ — وكَانَ مَشْغُولاً فِي أَمْرٍ هَامٍّ مِنْ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ — فَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمَا وإِيدَاعِهِمَا السِّجْنَ حَتَّى تَنْتَهِيَ مَشَاغِلُهُ ، ويَفْرُغَ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِمَا .

فَذَهَبَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ ومَعَهُ حَرَسٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمَا وَقَيَّدُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا بِقُيُودِ الْحَدِيدِ ، وَسَاقُوهُمَا فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَمَيَادِينِهَا إِلَى السِّجْنِ ، والنَّاسُ تَصِيحُ بِهِمَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَيَشْتُمُونَهُمَا ، وَيَقْذِفُونَهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى دَخَلاَ سِجْنَهُمَا ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ عَلَيْهِمَا . . .

وَرَأَى مِلْتَاسُ ذٰلِكَ كُلَّهُ ، وَذَهَبَ بِخَبَرِهِ إِلَى أَخِيهِ شَالُومَ وَمَالُوسَ ، فَحَزِنَا حُزْنًا شَدِيداً لِمَا أَصَابَ الرَّسُولَيْنِ ، وَبَاتَا يُفَكِّرَانِ فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، وَفِي كَيْفِيَّةِ خَلاَصِ الصَّاحِبَيْنِ مِنْ سِجْنِهِمَا .

قَالَ شَالُومُ : إِنَّ أَخِي مِلْتَاسَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، وَأَظُنُّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لَهُمَا . . وَمِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَظَلَّ عَلَى كِتْمَانِهِ ؛ فَهُوَ يُؤَدِّي لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا بِإِيمَانِهِ وَكِتْمَانِهِ ، أَمَّا أَنَا فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَضْلًا عَنِ الْمُجَاهَرَةِ فِيهَا بِشَيْءٍ مِنَ الدَّعْوَةِ ، فَأَنَا مَطْلُوبٌ لِلْقَتْلِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ ، وَأَنْتَ يَا مَالُوسُ رَجُلٌ غَرِيبٌ . وَأَرَى أَنْ تَدْخُلَ الْمَدِينَةَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُضِيفَ بِكَ خَيْرًا لِدَعْوَتِهِ وَلِصَاحِبَيْكَ .

قَالَ مَالُوسُ : وَكَيْفَ أَحْمِلُ أَمْرًا لَمْ يَأْمُرْنِي اللهُ فِيهِ بِشَيْءٍ ؟ إِنَّكَ تَطْلُبُ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ رَسُولًا وَالْأَمْرُ فِي ذٰلِكَ مِنَ اللهِ لَا مِنْكَ . . . .

وَفِيمَا هُمْ كَذٰلِكَ أَحَسُّوا كَأَنَّ رِيحًا زَكِيَّةً طَيِّبَةً تَغْشَاهُمْ ، وَأَنَّ نُورًا يَحُفُّ بِهِمْ لَيْسَ كَنُورِ الشَّمْسِ وَلَا كَضَوْءِ الْمَصَابِيحِ .. وَأَنَّ مَالُوسَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَيَغِيبُ عَنْ وَعْيِهِ . . . وَبَعْدَ بُرْهَةٍ ارْتَفَعَ النُّورُ فِي السَّمَاءِ ، وَصَعِدَتْ مَعَهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ، وَفَتَحَ مَالُوسُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لِشَالُومَ : أَبْشِرْ يَا شَالُومُ ، فَقَدْ أَنْزَلَ

اللهُ إِلَيَّ وَحْياً يُحَمِّلُنِي الرِّسَالَةَ ، وَيُكَلِّفُنِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَعْزِيزاً لِصَاحِبَيَّ . سَمْعَانَ وَفَارُوضَ :

شَالُومُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نِعْمَتِهِ . . . ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي . .

مَالُوسُ : وَالْآنَ فَلْنَنْظُرْ فِي تَدْبِيرِ مَا يَجِبُ أَنْ نَصْنَعَهُ ؟

شَالُومُ : لَيْسَ أَمَامَنَا إِلَّا وِجْهَةٌ وَاحِدَةٌ . . . لَقَدْ جَرَّبْنَا الِاتِّجَاهَ إِلَى الشَّعْبِ فَكَانَ أَحْمَقَ ، بَلِيدَ الْفَهْمِ ، سَيِّئَ الْخُلُقِ . . . . وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُجَرِّبَ الْمَلِكَ وَحَاشِيَتَهُ . . .

مَالُوسُ : هٰذَا مَا وَقَعَ بِبَالِي . وَلٰكِنْ لَا بُدَّ مِنَ التَّلَطُّفِ ، وَإِخْفَاءِ مُهِمَّتِي بَادِئَ ذِي بَدْءٍ حَتَّى يَنْكَشِفَ أَمْرُهُمْ عَلَى جَلِيَّتِهِ .

دَخَلَ مَالُوسُ الْمَدِينَةَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ سَائِحٌ يَبْغِي الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فِي مُخْتَلِفِ الْمَدَائِنِ وَالْأَمْصَارِ . . . وَظَلَّ يُجَالِسُ طَبَقَاتِ الْأُمَّةِ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ ، وَيَتَرَقَّى بِهِ الْحَالُ مِنْ طِرَازٍ فِي الْمَجَالِسِ إِلَى طِرَازٍ أَعْلَى حَتَّى شَاعَ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ ، وَأَقْبَلَ الْعُظَمَاءُ عَلَى مُجَالَسَتِهِ حَتَّى انْتَهَى أَمْرُهُ إِلَى حَاشِيَةِ الْمَلِكِ . . فَوَجَدُوا فِيهِ سَمِيراً لَطِيفاً ؛ فَأَحَبُّوهُ ، وَحَرَصُوا عَلَى

مُلَازَمَتِهِ حَتَّى خَلَطُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَجَعَلُوهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، وَرَفَعُوا أَمْرَهُ لِلْمَلِكِ ، فَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ ، وَصَارَ لَا يَصْبِرُ كَثِيرًا عَلَى فِرَاقِهِ . . .

وَفِي يَوْمٍ قَالَ مَالُوسُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ حَبَسْتَ رَجُلَيْنِ لِأَنَّهُمَا كَانَا يَدْعُوَانِ إِلَى دِينٍ غَيْرِ دِينِكَ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدْعُوَهُمَا وَتَسْمَعَ مَا يَقُولَانِ ؟

قَالَ الْمَلِكُ : شَغَلَتْنِي عَنْ ذٰلِكَ الشَّوَاغِلُ .

وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَأُحْضِرَ السَّجِينَانِ ، فَلَمَّا دَخَلَا وَجَدَا مَالُوسَ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ مُعَظَّمًا مُقَرَّبًا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمَا إِشَارَةً خَفِيَّةً بِأَنْ يَتَجَاهَلَاهُ كَأَنَّهُمَا لَا يَعْرِفَانِهِ ، فَصَرَفَا عَنْهُ أَعْيُنَهُمَا . . . .

وَبَدَأَ الْمَلِكُ يَقُولُ : أَنْتُمَا اللَّذَانِ تَعِيبَانِ آلِهَتَنَا ؟

فَارُوضُ : لَمْ نَعِبْ آلِهَتَكُمْ .. وَإِنَّمَا سُئِلْنَا عَنْ إِلٰهِنَا فَوَصَفْنَاهُ . سُئِلْنَا هَلْ هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ حَجَرٍ ؟ فَقُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ مُرَكَّبًا مِنْ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ يَسْتَجِيبُ لَنَا إِذَا دَعَوْنَاهُ . . أَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْآلِهَةِ فَإِنَّهُ إِذَا دُعِيَ لَا يُجِيبُ ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ .

ٱلْمَلِكُ : أُرِيدُ أَنْ أَرَى قُدْرَةَ إِلٰهِكُمَا فِي هٰذَا ٱلْأَعْمَى فَادْعُوَاهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ .

فَتَوَجَّهَ فَارُوضُ وَسَمْعَانُ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ يَدْعُوَانِهِ أَنْ يَنْصُرَهُما أَمَامَ هٰذَا الطَّاغِيَةِ ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى ٱلْأَعْمَى بَصَرَهُ . . ثُمَّ دَنَا سَمْعَانُ مِنَ ٱلْأَعْمَى وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنِهِ وَقَالَ : بِاسْمِ ٱللهِ . فَارْتَدَّ الرَّجُلُ بَصِيرًا . فَبُهِتَ ٱلْمَلِكُ وَحَاشِيَتُهُ حِينَ رَأَوْا ذٰلِكَ . . وَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِجَعْلِ السَّجِينَيْنِ فِي حُجْرَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِحُجْرَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَا كَمَا أَمَرَ قَالَ لَهُ مَالُوسُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ : ادْعُ إِلٰهَكَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ إِلٰهُ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَنْ يَنْصُرَكَ أَمَامَهُمَا كَمَا نَصَرَهُما إِلٰهُهُمَا ، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ لَكَ ٱلْهَزِيمَةَ أَمَامَ هٰذَيْنِ الْغَرِيبَيْنِ .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : لَقَدْ صِرْتَ يَا مَالُوسُ مِنْ أَعَزِّ ٱلْمُقَرَّبِينَ إِلَيَّ ، وَلَسْتُ أَطْوِي عَنْكَ سِرًّا . إِنَّ إِلٰهِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِمَّا رَأَيْتَ ٱلْيَوْمَ وَلَا مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذٰلِكَ .

قَالَ مَالُوسُ : وَلِمَاذَا تَعْبُدُهُ إِذَا كَانَ عَاجِزًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ؟

قَالَ ٱلْمَلِكُ : إِنَّ الشَّعْبَ وَرِثَ عِبَادَةَ هٰذِهِ ٱلْأَحْجَارِ عَنْ آبَائِهِ ٱلْأَوَّلِينَ ، وَنَحْنُ نُجَارِيهِ ، وَنُظْهِرُ لَهُ تَعْظِيمَنَا إِيَّاهَا لِيَثِقَ بِنَا ، وَيَمْنَحَنَا حُبَّهُ ، وَيَلْتَفَّ حَوْلَ عَرْشِنَا .

قَالَ مَالوسُ : وَلٰكِنْ كَيْفَ تُفَضِّلُ الْعَرْشَ عَلَى ٱلْحَقِّ ؟ . كَيْفَ تُفَضِّلُ ٱلْعَرْشَ وَالسُّلْطَانَ ، وَعَرَضَ الدُّنْيَا عَلَى ٱلْإِلٰهِ الْحَقِّ . . ؟ إِنَّ ٱلَّذِي يَعِيشُ بِغَيْرِ ٱلْإِلٰهِ ٱلْحَقِّ إِنْسَانٌ تَائِهٌ ضَالٌّ لَا قِيمَةَ لَهُ ، وَلَا خَيْرَ فِي حَيَاتِهِ أَلْبَتَّةَ .

الْمَلِكُ : مَاذَا جَرَى لَكَ يَا مَالوسُ : أَتُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ مُلْكِي وَمُلْكِ آبَائِي ؟ أَتُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنِي شَعْبِي . . إِنَّ ٱلْحَقَّ مَعَ الشَّعْبِ وَمَعَ آلِهَتِنَا . وَحَذَارِ أَنْ تَنْطِقَ بِشَيْءٍ لِأَحَدٍ مِنَ الشَّعْبِ بِمَا كُنْتَ تَقُولُهُ ٱلْآنَ .

أَرَادَ مَالوسُ أَنْ يُحَطِّمَ مِنْ كُفْرِ ٱلْمَلِكِ ، وَأَنْ يُرِيَهُ آيَةً أُخْرَى أَعْظَمَ مِمَّا رَأَى لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : لَقَدْ تَعَجَّلْنَا فِي ٱلْحُكْمِ لِهٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ فَإِنَّ مِنَ ٱلْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَا دَجَّالَيْنِ سَاحِرَيْنِ وَلَهُمَا دِرَايَةٌ بِالطِّبِّ فَفَعَلَا مَا فَعَلَا .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : هٰذَا جَائِزٌ . . إِنَّكَ حَكِيمٌ حَقًّا . . سَنَقُولُ هٰذَا لِلشَّعْبِ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلِمَ خَارِجَ ٱلْقَصْرِ بِمَا حَصَلَ .

قَالَ مَالوسُ : وَأَرَى أَنْ نُحْضِرَ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلآنَ وَنَطْلُبَ إِلَيْهِمَا أَنْ يُحْيِيَا ٱلْمَوْتَى . . فَإِنَّ إِحْيَاءَ ٱلْمَيِّتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ طَبِيبٌ وَلَا سَاحِرٌ . . فَإِذَا عَجَزَا ثَبَتَ سِحْرُهُما ، وَأَخْرَجْتَهُمَا لِلنَّاسِ فَقَتَلُوهُما .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : نِعْمَ مَا رَأَيْتَ . وَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ فَأُحْضِرَ ٱلرَّجُلَانِ ، وَأُحْضِرَتْ جُثَّةُ شَابٍّ ، وَقَالَ لَهُمَا : هٰذِهِ جُثَّةُ شَابٍّ تُوُفِّيَ مُنْذُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَلَمْ أَدْفِنْهُ لِأَنَّ أَبَاهُ غَائِبٌ فَإِذَا حَضَرَ دَفَنَّاهُ . فَادْعُوَا إِلٰهَكُمَا أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى ٱلْحَيَاةِ إِنْ كُنْتُمَا صَادِقَيْنِ .

فَأَقْبَلَ سَمْعَانُ وَفَارُوضُ يَدْعُوَانِ ٱللهَ عَلَنًا ، وَأَقْبَلَ مَالوسُ يَدْعُو مَعَهُمَا سِرًّا . . ثُمَّ قَالَ فَارُوضُ لِلرَّجُلِ ٱلْمَيِّتِ : قُمْ بِاسْمِ ٱللهِ . فَإِذَا بِالْمَيِّتِ يَقُومُ وَيَتَكَلَّمُ بِحَدِيثٍ عَجَبٍ قَالَ فِيهِ : لَقَدْ مِتُّ كَافِرًا عَلَى دِينِ هٰذَا ٱلْمَلِكِ ، وَدِينِ شَعْبِهِ ٱلْأَحْمَقِ . . فَأُدْخِلْتُ سَبْعَةَ أَوْدِيَةٍ مِنَ النَّارِ . . وَأَنَا أُحَذِّرُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ

عَاقِبَةَ ٱلْكُفْرِ ٱلَّذِى تُزَيِّنُهُ لِلشَّعْبِ وَإِلَّا فَإِنَّ النَّارَ مَثْوَاكَ وَمَثْوَاهُ . وَاسْتَمَرَّ يَقُولُ :

ثُمَّ فُتِحَتْ لِى أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ فِى مَقَامٍ كَرِيمٍ وَحَالَةٍ سَعِيدَةٍ .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَنْ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ ؟ ! !

قَالَ الرَّجُلُ : هُمْ سَمْعَانُ وَفَارُوضُ وَمَالُوسُ .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَالُوسُ مَعَهُمَا ؟ ! !

قَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ وَهُوَ أَرْفَعُهُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : أَنْتَ مَعَ هٰذَيْنِ يَا مَالُوسُ ؟

قَالَ مَالُوسُ : نَعَمْ ، وَأَدْعُوكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ وَحَاشِيَتَكَ وَشَعْبَكَ إِلَى تَرْكِ أَصْنَامِكُمُ الَّتِى لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَأَنْ تَعْبُدُوا اللهَ خَالِقَكُمْ وَخَالِقَ كُلِّ شَىْءٍ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

فَثَارَ ٱلْمَلِكُ وَغَضِبَ ، وَقَالَ : أَخْرِجُوا هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ إِلَى الشَّعْبِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم
مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ
اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾
قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة يس - الآيات من ١٣ : ١٥]

٤

خَشِيَ الْمَلِكُ أَنْ يَتَحَدَّثَ هٰؤُلَاءِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّعْبِ بِمُعْجِزَةِ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ ، وَ بِمَا شَاهَدَ الْمَيِّتُ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، وَ بِمَا أَوْصَى بِهِ الْمَلِكَ مِنْ تَرْكِ الْأَصْنَامِ ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ ... خَشِيَ الْمَلِكُ أَنْ يَتَحَدَّثُوا إِلَى الشَّعْبِ فِي هٰذَا وَفِي الْأَعْمَى الَّذِي رُدَّ عَلَيْهِ بَصَرُهُ ، فَخَرَجَ إِلَى الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ فِي مَلَابِسِ الْكَهَنَةِ لِيُقَدِّمَ لَهُمْ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ ؛ فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ هَتَفُوا لَهُ وَ لِلْآلِهَةِ ، وَسَجَدُوا تَعْظِيماً وَتَكْرِيماً ...

وَصَعِدَ الْمَلِكُ مَنَصَّةً عَالِيَةً وَقَالَ : أَيُّهَا الشَّعْبُ : إِنَّ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ دَخَلَا الْمَدِينَةَ ، وَتَظَاهَرَا بِأَنَّهُمَا طَبِيبَانِ ، وَمَا لَبِثَا حَتَّى ظَهَرَ مَا يُخْفِيَانِ مِنْ تَحْقِيرِ آلِهَتِنَا ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى تَرْكِ عِبَادَتِهَا ، فَأَمَرْتُ بِسَجْنِهِمَا .

وَهٰذَا الرَّجُلُ (يُرِيدُ مَالُوسَ) جَاءَ الْمَدِينَةَ وَادَّعَى ـ كَذِباً ـ أَنَّهُ سَائِحٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ فِي

الْمَدَائِنِ وَالْأَمْصَارِ ، فَأَكْرَمْنَاهُ وَقَرَّبْنَاهُ ، وَإِذَا بِهِ الْيَوْمَ يَسُبُّ الْآلِهَةَ ، وَيَدْعُونَا إِلَى تَرْكِهَا ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الثَّلَاثَةِ سَائِلاً : أَلَيْسَ مَا قُلْتُهُ هُوَ الَّذِي حَدَثَ ؟

وَهُنَا قَالَ مَالُوسُ : إِنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ الْمَلِكُ صَحِيحٌ ، وَنَحْنُ الثَّلَاثَةَ رُسُلُ اللهِ أَرْسَلَنَا إِلَيْكُمْ لِتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ ، وَتَتْرُكُوا هٰذِهِ الْآلِهَةَ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ . . .

وَهُنَا هَاجَ الشَّعْبُ وَمَاجَ :

فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ : كَأَنَّكَ تَقُولُ إِنَّ آبَاءَنَا عَاشُوا أَشْقِيَاءَ وَمَاتُوا أَشْقِيَاءَ . . . ! !

وَقَائِلٍ يَقُولُ : اقْتُلُوا الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَسُبُّونَ آلِهَتَنَا . . .

وَقَائِلٍ يَقُولُ : كَانَ قُدُومُ هٰؤُلَاءِ عَلَيْنَا شَرًّا وَشُؤْمًا ، فَقَدْ غَضِبَتْ عَلَيْنَا الْآلِهَةُ وَأَصَابَتْنَا الْكَوَارِثُ وَالْخَسَائِرُ ، فَإِنْ لَمْ تَنْتَهُوا يَا هٰؤُلَاءِ عَمَّا تَقُولُونَ رَجَمْنَاكُمْ بِالْحِجَارَةِ . وَهُنَا قَالَ سَمْعَانُ : تَطَيَّرْتُمْ بِنَا ، وَتَشَاءَمْتُمْ لِقُدُومِنَا . . . أَلَا فَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الشُّؤْمَ كُلَّهُ فِي الْبُعْدِ عَنِ اللهِ . . . وَالْيُمْنَ كُلَّهُ فِي

اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَطَاعَةِ اللهِ . . وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تُنْكِرُونَ الْحَقَّ ، وَتُقِيمُونَ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَأَنْتُمْ مَعَ الشُّؤْمِ وَالشُّؤْمُ مَعَكُمْ ، وَلَمْ نَدْخُلْ بِهِ عَلَيْكُمْ . . . إِنَّكُمْ قَوْمٌ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَأَسْرَفْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي الْمَعَاصِي . . . وَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ رِسَالَةَ اللهِ ، وَاللهُ يَفْعَلُ بِكُمْ مَا يَشَاءُ . . .

٥

وَبَيْنَمَا سَمْعَانُ يَتَكَلَّمُ رَأَى الْجَمِيعُ رَجُلاً مُلَثَّمًا جَاءَ يَسْعَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَشُقُّ طَرِيقَهُ فِى الزِّحَامِ الشَّدِيدِ حَتَّى صَعِدَ الْمَنَصَّةَ وَقَالَ :

يَا قَوْمِ ، أَنَا وَاحِدٌ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلِى وَعَشِيرَتِى . . . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هٰؤُلَاءِ الْمُرْسَلُونَ . إِنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى حُكْمِ الْعَقْلِ . . . وَإِنَّهُمْ لَا يَبْتَغُونَ فِيكُمْ جَاهًا وَلَا رِيَاسَةً ، وَلَا يَسْأَلُونَكُمْ أَجْرًا عَلَى مَا يَقُولُونَ . . . وَذٰلِكَ مِنْ أَقْوَى عَلَامَاتِ الصِّدْقِ وَالْهِدَايَةِ . . . يَا قَوْمِ؛ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . . .

وَصَاحَ الْعَامَّةُ فِى هِيَاج : تَزْعُمُ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنَّا ، وَتَدَعُ آلِهَتَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ ؟

الرَّجُلُ :

وَمَا لِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ ! !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة يس – الآيات من ١٦ : ٢١]

قَالَ الْعَامَّةُ وَقَدْ زَادَ هِيَاجُهُمْ :

أَتَعْبُدُ إِلٰهًا لَا تَرَاهُ وَلَا تَسْمَعُهُ ، وَتَتْرُكُ آلِهَتَكَ وَآلِهَةَ قَوْمِكَ وَأَنْتَ تَرَاهُمْ صَبَاحَ مَسَاءَ ؟ ! !

قَالَ الرَّجُلُ :

إِنْ كُنْتُ لَا أَرَاهُ فَهُوَ يَرَانِي . . . وَإِنْ كُنْتُ أَرَى آلِهَتَكُمْ فَهِيَ لَا تَرَانِي .

قَالَ الْقَوْمُ :

إِذًا قَدْ آمَنْتَ بِآلِهَتِهِمْ ؟ فَمَنْ أَنْتَ يَا هٰذَا ؟

فَأَجَابَهُمْ :

نَعَمْ آمَنْتُ بِاللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا هٰذَا مِنِّي وَاشْهَدُوا بِهِ عَلَيَّ . أَمَّا اسْمِي فَإِلَيْكُمْ وَجْهِي لَعَلَّكُمْ تَعْرِفُونَنِي . وَرَفَعَ اللِّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ .

وَهُنَا هَاجَ النَّاسُ وَمَاجُوا وَقَالُوا : شَالُومُ بْنُ كَنْعَانَ ! الْخَائِنُ لِقَوْمِهِ ! الْكَافِرُ بِآلِهَتِهِ ! اقْتُلُوهُ ، أَلْحِقُوهُ بِزُمَلَائِهِ الْأَرْبَعَةِ . إِنَّكُمْ تَبْحَثُونَ عَنْهُ مُنْذُ خَمْسِ سِنِينَ . وَنَسِيَ الْقَوْمُ

الرُّسُلَ الثَّلاَثَةَ ، وَهَجَمُوا عَلَى شَالُومَ ضَرْباً بِالْأَيْدِى وَرَكْلاً بِالْأَرْجُلِ ، وَرَجْمًا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَسَالَ دَمُهُ ، وَتَهَشَّمَ رَأْسُهُ ، وَبَرَزَتْ أَمْعَاؤُهُ مِنْ بَطْنِهِ . وَمَاتَ وَصَعِدَتْ رُوحُهُ إِلَى السَّمَاءِ تَقُولُ :

يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ! وَفِى الْوَقْتِ الَّذِى كَانَ شَالُومُ يَتَمَنَّى لِقَوْمِهِ مِثْلَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ السَّعَادَةِ كَانَ قَوْمُهُ يَتَنَاقَشُونَ : مَاذَا يَصْنَعُونَ بِبَدَنِه ؟ هَلْ يُقَطِّعُونَهُ إِرْباً إِرْباً ؟ هَلْ يَصْلُبُونَهُ ؟

قَالَ أَحَدُهُمْ :

لَا تَقْطِيعَ وَلَا صَلْبَ . إِنَّمَا جَزَاءُ هٰذَا الْكَافِرِ أَنْ نَفْتَحَ فَتْحَةً مِنْ ظَاهِرِ حَلْقِهِ ثُمَّ نَرْبِطَ فِيهَا حَبْلًا ، وَنُعَلِّقَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ . . .

قَالَ الرُّسُلُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

إِنَّ اللهَ مُوشِكٌ أَنْ يَغْضَبَ لِشَالُومَ . فَمَا بَقَاؤُنَا فِى هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ؟ وَتَرَكُوهَا لِعَذَابِ اللهِ يَنْزِلُ بِهَا .

وَبَيْنَا الْقَوْمُ يَجُرُّونَ الْجُثَّةَ بِالْحَبْلِ إِذَا سُحُبٌ مُتَرَاكِبَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ تُطْبِقُ عَلَى الْمَدِينَةِ بِسَوَادِهَا الْحَالِكِ . . . وَإِذَا دَمْدَمَةٌ تَنْبَعِثُ مِنْهَا ، وَأَصْوَاتٌ تَقُولُ : فَلْنَنْزِلْ لِإِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الظَّلَمَةِ الْكَفَرَةِ . فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ صَوْتٌ كَبِيرٌ مُخِيفٌ : لَا يَنْزِلْ مِنْكُمْ جُنْدِيٌّ وَاحِدٌ فَإِنَّهُمْ أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ذَلِكَ . . وَصَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَحَدِكُمْ تَكْفِي لِتَدْمِيرِ مَدِينَتِهِمْ عَلَيْهِمْ . . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنِ انْطَلَقَتْ فِي الْأُفُقِ صَيْحَةٌ رَاعِدَةٌ جَبَّارَةٌ أَهْلَكَتْهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ . . .

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ
مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ۝ إِنْ كَانَتْ
إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)